

PDF Eraser Free

الصورة

في أحد الأيام، طلبت رسمية من ابنتها أن تجلب صور العائلة. استغربت الابنة أن تطلب امرأة عمياء كوالدها مثل هذا الطلب. لم تحزر، كما أنها لم تسألها ماذا تفعل بالصورة، أو حتى تناقشها في الأمر. كانت تعرف أن ذلك سيغضبها. فتبدأ، عندئذ، بعض اصبع السبابة إلى أن تنفذ طلبها، وهي العادة التي تلازم البعض من الأمهات، في حالة الغضب. فنهضت فوراً، وراحت تبحث عن تلك الصور في كل مكان، حتى عثرت عليها في صندوق معدني مخبئ في إحدى الجرار. جلبته معها، أخرجت منه الصور وقامت ببعثها على الأرض، أمام الأم الضريرة، التي راحت تتلمسها بيدين نحيلتين مرتعشتين بفعل عجز القلب المزمن، كأنها تبحث بينها عن ضالتها. عندئذ، علمت الابنة ما تريد أن تبلغه أمها الضريرة، فأرادت مساعدتها، لكنها رفضت يد العون تلك بشدة، قائلة:

"لا تتدخل.. القلب يعرف شغله!"

تركتها تعثر على غايتها بنفسها، لكن الأمر الذي زاد من دهشتها واستغرابها، هو أن والدتها شرعت بالتقاط الصور، بحركة بطيئة، واحدة في إثر الأخرى. وكانت كلما التقطت صورة، تقرّبها من أنفها، تتنشقها بعمق، فتبدو في حينها كما لو أنها تختبر عطر زهرة ما، وليس صورة. فكرت في أن تسألها عما تفعله، لكنها لظمت لسانها في اللحظة الأخيرة، واكتفت بمراقبتها، لترى ما تروم فعله في نهاية المطاف.

PDF Eraser Free

وفجأة، توقفت الأم عند إحدى الصور، وراحت نشمها على نحو، ظنت معه أنها بصدد أن تلفظ أنفاسها الأخيرة.

"هذه هي!" صاحت بملء فمها كمن عثرت على شيء ثمين:"
وجدتها!"

هنا، تصاعدت وتيرة الشم لدى الأم. كانت تضع الصورة على صدرها حيناً بينما هي تولول للحظات، ثم تلصقها بأنفها حيناً آخر، وتسحب نفساً عميقاً لتعب منه رثتها، تماماً كما تفعل مع نبتة عطرية نادرة وجدتها أخيراً.

وحين لم تعد الابنة تحتمل المزيد من الغموض الذي يحدث أمامها، سألت أمها عن جدوى كل ما فعلته، خصوصاً وأن الصورة المختارة لم تكن عائدة للابن المفقود منذ الحرب العراقية الإيرانية لوحدته، بل هي صورة جماعية التقطت في حديقة المنزل لكل أفراد العائلة. فلماذا تحوز مثل هذه الصورة على اهتمامها، في حين لم تقف عند واحدة من صورها، التي يظهر فيها منفرداً في عدة أماكن وفي مناسبات مختلفة: بثياب العيد في الخامسة من عمره، على الكورنيش متكئاً على جذع شجرة زيزفون، في ساحة الكرة بثيابه الرياضية، في حرم الجامعة بزيه الموحد، في مركز التدريب مرتدياً الملابس الكاكية، وغيرها من الصور التي لم تعرها اهتمامها.

صمتت الأم لدقيقة، كانت ما تزال تضم خلالها تلك الصورة إلى صدرها، بينما هي تحدق أمامها بنظرات فارغة، ذاهلة. ثم سألت ابنتها عما إذا كانت تتذكر ما الذي فعله سامر، منذ أكثر من عشرين عاماً، حين كان في الثامنة من عمره، ظناً منه أن ذلك سيزيد من أناقته.

PDF Eraser Free

فتذكرت الابنة قائلة:

"لقد استأذن الجميع قبل التقاط الصورة وهرع إلى الداخل مسرعاً. غاب عدة دقائق، ثم عاد وهو يهتف: أنا جاهز! أظن أنه مشط شعره، أو ربما بدّل قميصه.. حسناً، لا أتذكر!"

"لا هذا ولا ذاك!" قالت الأم بنبرة تنم عن دراية: "لم تحزري!"

"إذن... " سألتها الابنة بصوت تائق لمعرفة ما الذي فعله شقيقها المفقود: " ما الذي كان يفعله في الداخل يا أمي؟"

"أنا أقول لك" أجابت الأم وهي تشم الصورة للمرة الألف: " كان يرش عطراً!"